

" أثر التقوى في عقيدة المؤمن
من خلال تفسير قوله تعالى
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾

(دراسة تحليلية على ضوء الكتاب والسنة)

د. سيف النصر عبدالله إبراهيم حبيب الله
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
بقسم الدراسات الإسلامية جامعة أم درمان الإسلامية
كلية أصول الدين بالسودان والاستاذ المساعد المتعاقد بقسم
الدراسات الاسلامية كلية الاداب جامعة طيبة بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

أثر التقوى في عقيدة المؤمن من خلال تفسير قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾

(دراسة تحليلية على ضوء الكتاب والسنة)

سيف النصر عبدالله إبراهيم حبيب الله

قسم الدراسات الإسلامية –كلية أصول الدين –جامعة أم درمان الإسلامية –السودان

قسم الدراسات الإسلامية– كلية الآداب– جامعة طيبة المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Seifalnsr67@gmail.com

الملخص :

لقد جعلت البحث في مقدمة وفصلين وقفت في الفصل الأول على تعريف التقوى وحقيقها وأهميتها، فبينت معنى التقوى في اللغة الاصطلاح، وبينت طبيعة العلاقة بينهما، ثم وضعت حقيقة التقوى ومكانتها في دين الله – تعالى –، ثم تحدثت في المبحث الأخير عن الألفاظ المرادفة للتقوى، وما يقارب معناها وعن أسباب الثبات على التقوى. وفي الفصل الثاني : تحدثت عن ثمرات التقوى وفضائلها التقوى والأتقياء، وبينت أن التقوى سبب في الرزق وتكفير السيئات، وهي سبب من أسباب النصر والتمكين، وتعرضت لمقياس التفاضل بين الناس وأنه لا يكون إلا بالتقوى، فهي سبب النجاة، وسبب العلم، وصفة من صفات أولياء الله – تعالى، ثم ختمت الفصل ببيان أن التقوى ثمرة التوحيد وهي ثمرات عاجله وأجله. وثم تناولت صفات المتقين كما عرضها القرآن الكريم والسنة النبوية، فوضحت معناها، وأوردت أقوال المفسرين في ذلك، فبدأت الحديث عن الصبر لكونه أعظم صفة من صفات المتقين، ثم الشكر والتعاون على البر، وبيت صفة الطاعة، ثم وضعت صفة الاحسان التي لا يصل إليها إلا المتقون، وكذلك الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله، ثم تناولت الاستغفار كونه شعار المتقين ثم ختمت الفصل بصفة القنوت. وفي المبحث الأخير : عرضت طرق الوصول إلى التقوى وهي : تدبر القرآن، ومجاهدة النفس، والعبادات، وبينت كيف تكون التقوى في الصلاة والصيام والزكاة والحج ثم تحدثت عن معرفة الله ومراقبته لكونهما إحدى الطرق التي تحقق التقوى. وختمت الفصل الثاني بالحديث عن ثمار التقوى، ووقفت على الآيات الكريمة التي تبين وتؤكد أن العاقبة الحسنة للمتقين، ثم تناولت الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا، لوكنها الثمرات العظيمة التي تظهر على الأفراد، ومن ثم على الجماعة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله والتمكين لدينه، ثم ختمت الفصل بالحديث عن الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة، وبينت أن الكافر ليس له في الآخرة من نصيب، وأما المتقون فقد جعل الله لهم نصيباً في الدنيا والآخرة، وفصلت فيها بحسب ما يقتضيه المقام، آملاً أن أكون قد وفقت في ذلك.

الكلمات المفتاحية: فهي التقوى –المؤمن –ثمرات –أثر –عقيدة .

The effect of piety on the belief of the believer through the interpretation of the Almighty's saying: "And whoever fears God, He will make for him a way out"

(An analytical study in the light of the Qur'an and Sunnah)

sayf alnusr eabdallah 'iibrahim habib allah
Department of Islamic Studies - Faculty of Fundamentals of Religion - Omdurman Islamic University - Sudan
Department of Islamic Studies, College of Arts, Taibah University, Madinah, Saudi Arabia
Email: Seifalnsr67@gmail.com

Abstract:

I made the research in an introduction and two chapters and stood in the first chapter on the definition of piety, its reality and its importance, and showed the meaning of piety in the idiom language, and showed the nature of the relationship between them, then put the truth of piety and its position in the religion of God - the Most High - then talked in the last section about the terms synonymous with piety, and what Approaches its meaning and the causes of persistence on piety. In the second chapter, I talked about the fruits of piety and their virtues of piety and piety, and showed that piety is the cause of sustenance and the atonement of bad deeds, and it is one of the causes of victory and empowerment. Almighty, then I concluded the chapter with a statement that piety is the fruit of monotheism, and it is the fruits of its immediate and future. In the last topic: I presented the methods of reaching piety, which are: contemplation of the Qur'an, striving for the soul, and acts of worship. She showed how piety is in prayer, fasting, zakat and Hajj. Then I talked about knowing and observing God because they are one of the ways that achieve piety. Iconcluded the second chapter by talking about the fruits of piety, and she decided on the noble verses that show and confirm that the good will be the reward for the righteous, then she dealt with the implications of piety in the world as it locks the great fruits that go on individuals, and then on the Muslim community that seeks to arbitrate God's law and empower his religion, then She concluded the chapter by talking about the implications of that in the Hereafter, and showed that the unbeliever has no share in the Hereafter, and as for the righteous, God has made a Chinese for them in this world and the hereafter, and detailed it according to what the situation requires, hoping that God Almighty is the guardian of success.

Keywords: It Is Piety - The Believer - The Fruits - The Effect - The Belief.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب اليه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، يحي ويميت وهو حي لا يموت ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأنه قد أدى الامانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الامة ، وكشف الغمة ،وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، قال تعالى : (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

من تدبر موارد التقوى في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم علم أنها سبب خيري في الدنيا والآخرة ونعيمهما ولشدة حاجة الناس اليها ولعظم شأنها ولكون حاجة المسلمين اليها والاستقامة عليها لأنها سبب لسعادتهم في الدارين ولا يعلم درجة هذه

الولاية إلا اهل هذه المنزلة العلية: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[(٢)] .

وقد جعل الله تعالى التقوى هي الميزان الحق الذي توزن به الأعمال ويُفاضل بها بين الناس – لا ميزان الحسب والنسب ولا المال والشهرة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٤

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٤

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١]، وعندما سُئل رسول الله ﷺ: من اكرم الناس؟ قال: ((أتقاهم لله))[٢]. ويقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– ((إن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل)). ولقد صدق من قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه　　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي ولو كان رفيع النسب[٣]. وقد قال النبي ﷺ:((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٤].

ولأهمية التقوى، ولحوجة العباد الماسة إليها حض الله سبحانه وتعالى عباده على التزود بها، وأخبر أنها أفضل الزاد، فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٥]، قال ابن كثير –رحمه الله– لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال تعالى: ﴿....وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٦]، لما ذكر اللباس الحسي، نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع. قال عطاء الخراساني في قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ يعني زاد الأخرة[٧] .

هذا .. وتتجلى عظمة التقوى بذكر ثمراتها التي أعدها الله عز وجل للمتقين الذين صدقوا في الإتصاف بها، حيث أجزل لهم المولى عز وجل المثوبة والجزاء. فكان مما حباهم الله به .. قبول أعمالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٨]، وجعل لهم

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣
(٢) البخاري (٢١٢/٨)، مسلم (١٩٤/١٥).
(٣) أضواء البيان (٦٣٥/٧).
(٤) مسلم: كتاب البر والصلة (١٨٣/١٦) بشرح النووي.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٩٧
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ٢٧
(٧) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢٣٩/١) .
(٨) سورة المائدة ، الآية : ٢٧

البصيرة في دين الله تعالى، فقال: ﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١)، وبشرهم المولى عز وجل في الدنيا، وأمر رسوله بأن يبشرهم فقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾(٢)، وخصهم الله تعالى بالرحمة فقال: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٤)، وزادهم الله عز وجل على ذلك بالنجاة من عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(٦)، بل زادهم الله عز وجل ما هو أعظم من ذلك، إذ جمع لهم خيرات الأخرة كلها وجعلها نصيبهم فقال: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٧)، وقال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٨) ... إلى غير ذلك من الثمار العظيمة والكثيرة التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى .

ولما جهل الكثيرون حقيقة التقوى وعظمتها، وغابت عن الأكثرين ثمراتها ، ففترت عزائمهم عن طلبها وقصد بلوغ غايتها — أحببت أن أسطِّر هذا البحث، عسى الله أن يمَّن علينا جميعاً بتحقيق التقوى قولاً وعملاً، إكراماً منه تعالى وامتناناً ، فما احوجنا جميعاً إلى عظيم عفوه وكثير امتنانه.

(١) سورة البقرة ، الآية : ١ – ٢
(٢) سورة مريم ، الآية : ٩٧
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٦٩
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٦١
(٦) سورة مريم ، الآية : ٧١ – ٧٢
(٧) سورة الزخرف ، الآية : ٣٥
(٨) سورة طه ، الآية : ١٣٢

ولقد سرت في كتابتي لهذا البحث على حسب الخطة العملية الآتية :

عنوان البحث : ((أثر التقوى في عقيدة المؤمن)) من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

المقدمة : وتشمل أهمية الموضوع، وسبب إختياره والخطوات العملية.

الموضوع :- ويتكون من فصلين :-

الفصل الأول : حقيقة التقوى ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أقوال أهل العلم في التقوى، والتعريف المختار.

المبحث الثاني : طرق تحصيل التقوى .

المبحث الثالث : أسباب الثبات على التقوى .

الفصل الثاني : ثمرات التقوى ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : ثمرات عاجلة في الدنيا.

المبحث الثاني : ثمرات آجلة في الآخرة.

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث .

الفصل الأول
حقيقة التقوى

ويحتوي الباب على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول: أقوال أهل العلم في التقوى، والتعريف المختار.

المبحث الثاني : طرق تحصيل التقوى .

المبحث الثالث : أسباب الثبات على التقوى .

المبحث الأول

أقوال أهل العلم في التقوى

ويشتمل المبحث على :-

أولاً : التعريف اللغوي لكلمة التقوى

ثانياً : التعريف الشرعي لكلمة التقوى

❁❁❁❁❁

أولاً : التعريف اللغوي لكلمة ((**التقوى**)) :

بعد أن علمنا ما اختصت به هذه الكلمة العظيمة -التقوى- من المزايا التي لا تكاد تُجمع لسواها؛ حَرِيٌّ بنا ان نعرف حقيقتها معرفة شافية كافية ؛ فنبدأ - أولاً - بمعرفة معناها في اللغة :

يقول الرازي -رحمه الله- : ((و ق ي و (اتَّقَىَ) يتقى ، و (تَقَى) يتقى ، كقضى يقِضي. والتقوى و "التُّقى" واحد، و (التُقاة) والتَّقِيّة يقال (اتّقى تِقيةً) و(تُقاةً). و (وَقَاه) الله (وِقَاية) بالكسر : حفظه))[1] .

ويقول ابن منظور : ((وقاه الله وقْياً ووِقاية أي صانه، ووقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأذى، و (رجل تقى) ويجمع أتقياء ومعناه أنه مُوقِّي نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح))[2] .

ويقول الرفاعي : ((وقاه الله السُّوء وقاية، والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئاً، وروى أبو عبيد عن الكسائي الفتح في (الوِقاية) و (الوقَاء) أيضاً ؛ و "اتقيت الله اتقاء" و (التقيّة) و (التقوى) اسم منته، والتاء مبدلة من واو ، والأصل (وقى)))[3] .

(١) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي (ص ٧٣٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/٤٠١-٤٠٣).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي (ص٦٦٩) .

ثانياً : التعريف الشرعي لكلمة ((التقوى)) :-

وقد تنوعت عبارات السلف الصالح في حد التقوى، وتغايرت عباراتهم في ذلك، إلا أنها لم تتعارض ولم تتضاد، إذا أنه يمكن الجمع بينها، فهي تدور في محور واحد.. فمن ذلك:

يقول عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ : ((أن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر))[١].

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : ((حق تقاته: أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم))[٢] .

وقال أيضاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : ((المتقون الذين يحذرون من الله وعقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى يرجون رحمته في التصديق بما جاء به))[٣] .

وقال عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : ((لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر))[٤] .

وقال ابو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : ((تمام التقوى أن تتقي الله، حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً))[٥] .

وقال معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : ((هم الذين اتقوا الشرك وعبادة الأوثان واخلصوا العبادة لله))[٦] .

وقال الحسن البصري رحمه الله : ((المتقون ، اتقوا ما حرم الله عليهم وأدّوا ما افترض الله عليهم))[٧] .

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (١٩/٤)
(٢) المصدر السابق (١٩/٤ ، ٢٠)
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص١٤٩) .
(٤) البخاري (٦٠/١) مع الفتح .
(٥) فتح الباري (٦٣/١) .
(٦) جامع العلوم والحكم (ص١٤٩).
(٧) المصدر السابق (ص١٤٩) .

وقال رحمه الله : ((ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام))[١].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : ((ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ، ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير))[٢] .

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : ((وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقية من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه....))[٣] .

وقال الألوسي رحمه الله في (تحفة الإخوان) : ((التقوى إمتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولها ثلاث مراتب :

الأولى: التوقي من العذاب المُخَلّد بالتبري من الشرك، وعليه قوله تعالى : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[٤] .

الثانية: التجنب على كل ما يُؤثم من فعلٍ أو تركٍ حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٥] ، وعلى هذا قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خيرٌ إلى خير .

الثالثة : أن يتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى، وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٦]))[٧] .

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٩) .
(٢) المصدر السابق (ص١٤٩) .
(٣) المصدر السابق (ص١٤٩) .
(٤) سورة الفتح ، الآية : ٢٦
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦
(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢
(٧) غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ للألوسي (٤٨/٢) .

وأقوال العلماء السابقة في معنى (التقوى) لا شك أنها تبيِّن مسمى التقوى واحوال الناس معها، ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ فمن الناس من يقي نفسه الخلود في النار، وذلك بتحقيق التوحيد والإتباع للنبي ﷺ ، ومن الناس من يقي العقاب والحساب بالزيادة من فعل الطاعات والأوامر وترك المحظورات والمنهيات، ومن الناس من يزيد إلى ذلك فعل المستحبات ... وغير ذلك مما يشمله مسمى التقوى.

إلا أن التعريف المختار والذي يبدو وكأنه جمع شتات هذه التعاريف في حدٍ جامع معناه ، قصير في مفرداته ، مانع من حصول اللبس باشتراك غيره معه فيه، هو تعريف طلق بن حبيب –رحمه الله– في التقوى، وهو الذي اختاره ابن القيم –رحمه الله تعالى– إذ يقول : ((وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، بترك ما نهى عنه إيماناً بالناهي وخوفاً من وعيده)) ، كما قال طلق بن حبيب : ((إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى)) . قالوا : وما التقوى؟ قال: ((أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله تخاف عقاب الله)) ، وهذا من أحسن ما قيل في حدِّ التقوى فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان ، فيكون الباعث إليه هو الإيمان المحض، لا العادة، ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه، وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الإحتساب. ولهذا كثيراً ما يُرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ : ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً...))[1] . و ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً....))[2] ونظائره.

فقوله ((على نور من الله)) : إشارة إلى الأصل الأول، وهو مصدر العمل والسبب الباعث إليه. وقوله ((ترجو ثواب الله)) إشارة إلى الأصل الثاني وهو الإحتساب ، وهو الغاية التي لأجلها يوقع العمل ويقصد به [3] .

❀❀❀❀❀

(١) البخاري: كتاب الصوم (١٣٨/٤) مع الفتح، مسلم: كتاب صلاة المسافر (٥٨/٦-٦٠) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الرسالة التبوكية للإمام ابت القيم (ص ١٥-١٧) .

المبحث الثاني

طرق تحصيل التقوى

ويشتمل المبحث على المطالب التالية :-

المطلب الأول : طلب العلم الشرعي .

المطلب الثاني : تحقيق التوحيد .

المطلب الثالث : العمل الصالح .

المطلب الرابع : الإستعانة بالله تعالى .

المطلب الخامس : صحبة الأخيار والصالحين .

بعد أن علمنا حدّ هذا الكنز الثمين وتعريفه، يجدر بنا أن نبحث ونستفصل عن الطرق والسُّبل التي تُنال بها التقوى؛ فمن المعلوم التقوى ومحلها هو القلب .. بقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١] ويقول النبي ﷺ : ((التقوى ها هُنا)) ويشير إلى صدره ثلاث مرات[٢]، ويقول أيضاً : ((إن الله لا ينظر إلى صوركم واموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٣]. ويقول أيضاً فيما يرويه عن ربه: ((يا عبادي أي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً))[٤] . فهذه الأدلة مجتمعة تدل على ان مكان التقوى والذي ينظر الله سبحانه وتعالى إليه عند المفاضلة بين العباد – إنما هو القلب؛ وفي هذا يقول الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في شرحه للحديث السابق: ((وفي هذا الكلام دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا برَّ القلب واتقى برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح))[٥].

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٢

(٢) مسلم : كتاب البر والصلة (١٨٢/١٦) بشرح النووي .

(٣) مسلم : كتاب البر والصلة (١٨٣/١٦) بشرح النووي .

(٤) مسلم : كتاب البر والصلة (٢٠٠/١٦) بشرح النووي .

(٥) جامع العلوم والحكم (ص٢١٦) .

فلذلك واجب على كل مسلم أن يسعى إلى إصلاح قلبه، وأن يجتنب ما يضره من أسباب العصيان، وأن يديم ذكر الله وشكره، وأن يلزم طاعته وصلاح نفسه وتقواها؛ ويسعى لصلاح القلب بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة، فصلاح القلب وتقواه صلاح لجميع البدن. قالﷺ : ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلُحت صَلُح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[1]. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ((والمقصود أن صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الأصلين))؛ قال تعالى: ﴿ نْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[2]، فأخبر أن الإنتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حي القلب، كما قال في موضع آخر: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[4] ، فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان. فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد ذلك[5] .

هذا وإن العوامل التي تساعد على تحصيل التقوى واستجلابها كثيرة فمن أهمها :-

---

(١) البخاري : كتاب الإيمان (١٥٣/١) ، مسلم : كتاب البيوع (٣٩/١١).

(٢) سورة يس ، الآية : ٦٩-٧٠

(٣) سورة ق ، الآية : ٣٧

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤

(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (ص٢٦).

المطلب الأول : طلب العلم الشرعي

والمقصود بالعلم الشرعي هو ما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة ، ويدخل في ذلك جميع العلوم التي تعين على فهم كلام رب العباد وكلام النبي ﷺ من علوم العربية، وأقوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين في تفسير القرآن الكريم والسنة المطهرة وفقههما وبيان ما فيهما من الأحكام والهدى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين : في العلم النافع والعمل الصالح، وقد بعث الله محمداً ﷺ بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق)) [(١)] . وقال في موضع آخر: ((والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول)) [(٢)]. وهذا العلم هو الذي عناه رب العزة بقوله: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [(٣)]، وبقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٤)]، وقال فيه النبي ﷺ : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) [(٥)]، وقال ﷺ : ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)) [(٦)] .

وصاحب هذا العلم هو أولى الناس بتقوى الله عز وجل من غيره، بل لا يستطيع أحد الوصول إلى تقوى الله عز وجل ما لم يسلك هذا الطريق ولو يسيراً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [(٧)]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى –كلما كانت المعرفة به اتم والعلم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦٩/١٩ ، ١٧٠)
(٢) المصدر السابق (١٣٦/١٣) .
(٣) سورة المجادلة ، الآية : ١١٠
(٤) سورة الزمر ، الآية : ٩
(٥) سنن ابن ماجه : المقدمة (٨١/١) .
(٦) البخاري : كتاب العلم (١٩٧/١) ، مسلم : كتاب الزكاة (٧١٨/٢) .
(٧) سورة فاطر ، الآية : ٢٨

به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر))[1]. ويقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: ((... ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظرة غفلة لا تحدث له تذكراً، وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، فكل من كان بالله أعلم، كان اكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الإنكفاف عن المعاصي والإستعداد للقاء من يخشاه. وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله. وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[3].

ولما كان العلم بالله يورث التقوى والخشية، كان أعلم الناس بالله تعالى هم أعظمهم تقوى وخشية له؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يُعرف الغضب في وجهه ثم يقول: ((إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا...))[4] . قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في ذكره لفوائد هذا الحديث: ((الثامنة: بيان أن الرسول ﷺ رتبة الكمال الإنساني لأنه منحصر في الحكمتين: العلمية والعملية، وقد اشار إلى الأولى بقوله (أعلمكم) وإلى الثانية بقوله (أتقاكم)......)) .

فعُلم من هذا البيان أن كل من عَلِم عظمة الله عز وجل وصفاته كان ذلك سبباً في الإنصياع لشرعه والإذعان لأوامره، ومن علم حقوق الله سبحانه وتعالى وحقوق نبيه ﷺ وحقوق الخلق، كان ذلك أدعى إلى العمل بطاعة ربه وإعطاء كل ذي حق حقه؛ يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٥٥٣/٣) .
(٢) تفسير الكريم المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (٢١٦/٤) .
(٣) البخاري : (كتاب الإيمان) (٨٨،٨٩/١) .
(٤) فتح الباري : (٩٠/١، ٩١) .

يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(١)] ((أي: يبين الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، واوضَحَهَا لهم اكمل إيضاح فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله. فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سبباً للتقوى))[(٢)] .

ويتحقق مطلب العلم الشرعي وكونه أساس في تحصيل التقوى من التعريف المختار للتقوى وهو ((أن تعمل بطاعة الله على نور من الله...الخ)) فلا يطيع الله سبحانه وتعالى –بفعل الطاعات وترك المحظورات– من يجهل الأمر والنهي، فلا يفرق بين الحلال والحرام. ورحم الله القائل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه فمن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : ((وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي، قال عوف بن عبدالله: تمام التقوى هو أن يبتغي علم ما لم يعلم منها إلى عُلم منها؛ وذكر معروف الكرخي عن بكر بن حنيس قال: كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقى؟ ثم قال معروف الكرخي: إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا، وغذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك))[(٣)] . وحقيق بمن طلب التقوى أن يبدأ بالعلم، بل كل من طلب أي عبادة من جنس العبادات أن يبدأ بالعلم، وإلا فلا فائدة من عمله الذي بناه على الجهل. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ((ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين : منزلة العلم : وهذه المنولة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول مسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، مغلقة عنه أبوابها، وهذا إجماع من الشيوخ العارفين. ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق منهم، ونُوَّاب إبليس وشُرَطُه))[(٤)] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٤٨/١) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ١٥٠) .

(٤) مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٤٨٣/٢) .

المطلب الثاني : تحقيق التوحيد

والتوحيد هو أصل الإسلام إن وُجد وإلا فلا إسلام ولا إيمان ولا نجاة ولا نور يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢] ،يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ : ((وهو أن الشر لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين ووحدانيته ، وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يرافع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، والغنى التام بجميع وجوه الإعتبارات. فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغني شيء، بل ليس له إلا العدم : عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغني من جميع الوجوه، وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته))[٣] .

وكما يقال : بضدها تتميز الأشياء، فقد عُلم من خطورة الشرك وخلود صاحبه في النيران والجحيم – عُلم عظمة التوحيد والموحدين، وأجرهم وثوابهم العظيم. وقد اختص سبحانه وتعالى أهل التقوى بأنهم أهل التوحيد وأنهم اخشى الناس لربهم وأعبدهم له سبحانه وتعالى، فاختصهم بأسمى الصفات فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤] ، واهل العمل –كما سبق– هم أعلم الناس بالله وصفاته وحقوقه

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٢

(٣) تفسير الكريم الرحمن (٤٠٨/١) .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

عز وجل، وأعظم هذه الحقوق على العباد هو تحقيق توحيده عز وجل. قال النبي ﷺ : ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً))[١] .

ومن حقق التوحيد لله عز وجل تحقيقاً كاملاً، فقد بلغ ذروة التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]. يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله : ((قوله "لعلكم تتقون" يَحْتَمِل أن المعنى : أنكم إذا عبدتم الله وحده، إتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك. ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى، وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان، فمن اتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه))[٣] .

ومن يُفرِدِ الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه ومن صفاته، فلا يشرك به احداً ولا يُلحد في أسمائه وصفاته – فهذا قد وعده الله عز وجل بالتقوى مِنَّةً منه، وإكراماً لتحقيقه التوحيد. يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ...﴾[٤]: ((أي قل منادياً لأشراف الخلق، وهم المؤمنون، آمراً لهم بأفضل الأوامر وهي التقوى ذاكراً لهم السبب الموجب للتقوى، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم المقتضى ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما مَنّ الله عليهم به من الإيمان ، فإنه موجب للتقوى))[٥] .

---

(١) البخاري : كتاب الجهاد (٦٩/٦) ، مسلم : كتاب الإيمان (٥٨/١) .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٣/١) .
(٤) سورة الزمر، الآية : ١٠ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن (٣١٢/٤) .

المطلب الثالث : العمل الصالح

لقد عُلم ضرورةً أن العمل يتبع العلم، ولا فائدة من العلم ما لم يتبعه الانقياد والإتباع الملازم لهذا العلم، ولقد جمع الله سبحانه وتعالى بين العلم والعمل في آيات كثيرة؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي يقرن الله سبحانه وتعالى فيها بين الإيمان والعمل الصالح .

بل إن الله عز وجل قد ذم من لا يعمل بما علم ، فقال تعالى في وصف بني إسرائيل: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾[4]، وقال فيهم ايضاً: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[5]، وقال سبحانه وتعالى مخاطباً هذه الأمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[6] .

وكانت من صفات إمام المتقين ﷺ ومن بعده من صحابته رضوان الله عليهم ومن اهتدى بهديهم – أنهم يُتبعون القول العمل، فما إن علموا شيئاً إلا عملوا به. يقول ابن قدامة المقدسي –رحمه الله– في كلامه عن صفات علماء الآخره : ((ومن صفاتهم أن يكون أكثر بحثهم في علم الأعمال عمّا يفسدها ويكدّر القلوب ويهيج

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٠٧ .
(٢) سورة العصر ، الآية : ١-٣ .
(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .
(٤) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٤٤ .
(٦) سورة الصف ، الآية : ٢-٣ .

الوسواس .... ومن صفاتهم: البحث عن أسرار الأعمال الشرعية والملاحظة لحكمها، فإن عجز عن الإطلاع على العلة، كفاه التسليم للشرع. ومن صفاتهم: إتباع الصحابة وخيار التابعين وتوقي كل مُحَدِثْ))[١]. فكان لزاماً على من سار على درب هؤلاء أن يُتبع العلم العمل، وإلا فلا فائدة من علم بلا عمل .

وليس المقصود من الأعمال أعمال الجوارح –أي الظاهرة– فقط، بل هناك أعمال تخص القلب كخشية الله تعالى والإنابة إليه، والتوكل عليه والخوف منه ... وغير ذلك من الأعمال القلبية والتي هي من اعظم الأعمال وأشرفها.

وقد خص الله سبحانه وتعالى العاملين بالعلم بأنهم الذين يمن عليهم بالتقوى دون غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله: ((... ثم ذكر الله تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال (لعلكم تتقون): فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقرباً بذلك إلى الله ، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى...)) إلى أن يقول رحمه الله: ((ومنها أن الصائم –في الغالب– تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى))[٣] .

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (ص٣٧) .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/١٤٣-١٤٤) .

المطلب الرابع : الإستعانة بالله تعالى

لما كان الله تعالى على كل شيء قدير، ونيل مرضاته وتقواه من أسمي الأمور العظيمة، تنبه الأولون –أهل العلم والنُقى– إلى أصل الأصول وأساس كل عمل ألا وهو اللجوء إلى رب العباد والإستعانة به في جميع الأمور –صغيرها وكبيرها. يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. ويقول أيضاً: ﴿ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1]

وقد كان أنبياء الله عز وجل ورسله من أعظم الناس لجوءاً إليه تعالى. كما وصف الله تعالى بعضهم بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[2]. وقد سار أهل التقوى والصلاح على هذا الدرب، فلجأوا إلى الله تعالى، واستعانوا به وحده في قضاء حوائجهم. كيف لا وقد رَبَّى نبي هذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه صحابته الكرام ومن بعدهم على ذلك، بل حتى الصبية، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – والذي فيه: ((يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله... الحديث))[3] فسار على درب هذه الوصية كل من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً.

وقد حكى القرآن الكريم أن الأنبياء –عليهم السلام– كانوا يعلِّمُون أقوامهم ضرورة اللجوء إلى الله تعالى وطلب العون منه وحده، فحكى عن موسى عليه السلام أنه علَّم قومه الإستعانة بالله عز وجل حتى يرزقهم العزة والتمكين في الأرض، فقال

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .
(٣) الترمذي (٦٦٧/٤) ، أحمد (٢٩٣/١) .

تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

ولقد أثنى الله عز وجل على عباده المؤمنين ووصفهم بأنهم يخَصُّونه وحده جل وعلا بالعبادة والإستعانة فقال تعالى في سورة أم الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢). قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: ((أي نخصك وحدك بالعبادة والإستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه...)) إلى أن يقول: ((والإستعانة بالله هي الإعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في انه سيفعل ذلك))(٣) .

وكما أسلفنا القول فإن التقوى ومخافة الله سبحانه وتعالى من أعظم المنح الربانية التي يمن بها سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده، فلا سبيل للوصول إلى هذه المنحة إلا بالإستعانة به سبحانه، ورجاء حصولها منه عسى الكريم الجليل أن ينعم بها علينا إنه سميع مجيب.

❁❁❁❁❁

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٨،٢٩/١) .

المطلب الخامس : صحبة الأخيار والصالحين

من أهم طرق الحصول على التقوى مصاحبة أهل الصلاح والفضل، فبمخالطتهم والإكثار من مجالستهم يتطبع المرء بالكثير من خصالهم الحميدة، كما قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدِ

ولقد حث النبي ﷺ على مصاحبة ومجالسة الأتقياء والصالحين، والبعد عن الفاسدين والمفسدين، فقال عليه الصلاة والسلام: ((مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه))[1] .

ولقد دعا الأئمة الأعلام إلى اختيار الصديق والصاحب الصالح الذي يتخلق بحسن الخلق ، فبطول الصحبة تنتقل الصفات الحسنة إلى الرفيق يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((...إن الخلطة تارة تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة وبالإنفراد تارة، وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها))[2]
.

وحقيقة هذه الصحبة إزالة الوحشة في مسير العبد إلى ربه ومعاونته على طاعة ربه بالحث على فعل الطاعات وترك المحرمات، وهذا تعاون على تقوى الله عز وجل. ولقد حث المولى عز وجل على هذا، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[3]. يقول الشيخ السعدي رحمه الله: ((أي ليعن بعضكم بعضاً على البر، ... والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسولهﷺ من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، او خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المؤمنين بكل قول يبعث عليها، وينشط لها، وبكل فعل كذلك)) .

بل إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه العزيز أن الرُّسل عليهم السلام أيضاً في حوجة إلى من يؤاخيهم ويعينهم على الدعوة إلى الله، فقال حاكياً عن موسى عليه السلام

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب (٢/٥٥٨) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٤٢٥) .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

أنه قال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾[١]، ((فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل وغيره من أنواع العبادات))[٢].

ولقد سار السلف الصالح –رضوان الله عليهم– على هذا الدرب، فاتخذوا لأنفسهم الرفقاء الصالحون الذين يعاونوهم على تقوى الله عز وجل ويناصحوهم، ويوصي بعضهم بعضاً بتقوى الله تعالى، وفعل الطاعات والبعد عن المعاصي والمنكرات. يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله. ((... وكتب رجل من السلف إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله فإنها من اكرم ما أسررت وأزين ما اظهرت وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها واوجب لنا ولك ثوابها. وكتب رجل منهم إلى اخ له: أوصيك وأنفسنا بالتقوى فإنها خير زاد الآخرة والأولى واجعلها إلى كل خير سبيلك، ومن كل شر مهربك، فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون))[٣].

وما ذكرنا من الخلة والصحبة هي التي تفيد صاحبها في الدنيا وتبقى في الآخرة، وتعينه على طاعة الله وتقواه، أما غيرها فهي إلى الهلاك والضلال أقرب. قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٤] ، يقول السعدي رحمه الله: ((أي يوم القيامة ، المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله– بعضهم لبعض عدو، لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة، إلا المتقين للشرك والمعاصي فإن محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله...))[٥] .

فتحقق بذلك أن مصاحبة الأتقياء والصالحين تفيد صاحبها في الدنيا بالصلاح والورع وحسن الخلق، وتدوم في الآخرة ويبقى ثوابها العظيم.

❁❁❁❁❁

---

(١) سورة طه ، الآية : ٢٩-٣٤ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٠/٣ ، ٢٣١)
(٣) جامع العلوم والحكم (ص١٥١) .
(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٦٧ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٥/٤)

المبحث الثالث

أسباب الثبات على التقوى

ويشتمل المبحث على المطالب التالية :-

المطلب الأول: تدبر آيات القرآن والإعتبار بقصص الأنبياء والصالحين .

المطلب الثاني :إخلاص الأعمال لله تعالى .

المطلب الثالث: إتقاء الشهوات والشبهات ..

فيما سبق علمنا حقيقة التقوى وطرق تحصيلها، وفي هذا الفصل إن شاء الله نتعرف على بعض السبل التي تحفظ هذا الكنز العظيم من أن تطوله أيدي شياطين الإنس والجن فيُسرق أو يُسلب، فمن لم يرعاه حق رعايته يعدم الإخلاص أو فعل المنكرات أو التخلي عن فعل الطاعات- سُلب منه، كما قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1] .

وطرق الثبات على التقوى كثيرة .. نذكرمنها :

❁❁❁❁❁

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٥

المطلب الأول : تدبر آيات الله تعالى والإعتبار

بقصص الأنبياء والصالحين :-

أنزل الله تعالى هذا القرآن لُتدَبرَّ وليُعْمَل بما فيه من الهداية والإرشاد والتوفيق والسداد. قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(١) ، فحثنا سبحانه وتعالى على تدبره والتفكر في آلائه ومعجزاته، وحذرنا من هجر تلاوته وتدبره فقال: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾(٢) ، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(٣) .

وقد جعل الله تعالى لمن تدبر آيات القرآن الكريم مؤمناً بها، موقناً بما فيها- زيادة في الإيمان ، وثباتاً على التقوى، وهذه الخاصية لا توجد في كلام أحد إلاَّ في كلام رب العباد. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٤) . يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: ((يعني ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره فيعد ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لابد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، ويتذكرون ما كانوا نسوه، او يُحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان))(٥) .

ومما يثبت الإيمان والتقوى في قلب العبد.. الاعتبار والتدبر في قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين والصالحين وما حصل لهم من المجاهدات والفتوحات الربانية، وقد حث الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ والمؤمنين الإعتبار بقصص الأولين فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) سورة ص ، الآية : ٢٩
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٣٠
(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٤
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢
(٥) تيسير الكريم الرحمن (١٨٨/٢) .

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] ، وأكد سبحانه وتعالى أن هذه القصص إنما هي تثبيت للإيمان والتقوى لمن يتفكر فيها، فقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] .

والتدبر في كلام الله تعالى سلعة غالية لا ينالها إلا من سمت روحه وخلصت سريرته؛ ويعين على التدبر والإستفادة من تلاوة القرآن: حُسن الإصغاء وحضور القلب حتى لا ينشغل وينصرف إلى غير ألفاظ القرآن ومعانيه. يقول ابن القيم رحمه الله" ((إذا أردت الإنتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك،... فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]))[4].

❁❁❁❁❁

(١) سورة يوسف ، الآية : ١١١

(٢) سورة هود ، الآية : ١٢٠

(٣) سورة ق ، الآية : ٣٧

(٤) الفوائد لابن القيم (ص٥)

المطلب الثاني : إخلاص الأعمال لله تعالى :-

فمراقبة الأعمال وجعلها خالصة لوجه الله تعالى من أهم أمور الدين، بل هي أساس كل عمل، لذا قال ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى))(١) . فهذا نص على أن من لم يخلص العمل لله رب العالمين فقد حبط عمله، وإن كان صاحبه قد فعل جميع الأوامر وانتهى عن جميع النواهي. وهذا أمر الله الذي أمر به جميع الأمم – وهو إخلاص الأعمال، سرها وعلانيتها لله رب العالمين، وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٢) .

فكان أهل التقوى هم أولى الناس بأن يحققوا الإخلاص في جميع أعمالهم ويراقبوا نياتهم في جميع الأوقات، يخافون أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون قال تعالى آمراً أهل التقوى بل إمام المتقين بهذا الأمر: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣) . قال النووي رحمه الله: ((وقال السيد الجليل أبو محمد سهل بن عبدالله التستري: نظر الألياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا))(٤). وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: ((وروي ابن أبي الدنيا بإسناد منقطع عن عمر قال: لا تعمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له – يعني: لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عز وجل- وبإسناد ضعيف عن ابن مسعود قال: لا ينفع قول إلا بعمل ، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما وافق السنة))(٥). وقول ابن مسعود هذا معناه أن يكون العمل مما بينه

---

(١) البخاري: كتاب بدء الوحي (٣/١)، مسلم: كتاب الإمارة (١٥/٣) .
(٢) سورة البينة ، الآية : ٥
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٢ ، ١٦٣
(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي (ص ٧) .
(٥) جامع العلوم والحكم (ص ٩ ، ١٠)

النبيﷺ بقوله أو فعله أو تقريره، وهذا بائن في كتاب الله تعالى وفي سنة النبيﷺ . وفي تعريفنا للتقوى ذكرنا قول طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، فقوله (على نور من الله) أي على هدى وبصيرة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] . وقوله: (ترجو ثواب الله) إشارة إلى الإخلاص. فمن عمل عملاً لم يوافق الشرع لم يُقبل منه ذلك العمل، وأيضاً إذا لم يكن فيه إخلاص لله تعالى لم يُقبل كذلك. وهذان الشرطان هما شرطا قبول الأعمال عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[2] . وقال الفضيل ابن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[3] . – قال: ((أخلصه وأصوبه)) وقال: ((والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة)) [4] .

❋❋❋❋❋

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠

(٣) سورة الملك ، الآية : ٢

(٤) جامع العلوم والحكم (ص١٠ ، ١١)

المطلب الثالث : إتقاء الشهوات والشبهات

وهذا من أعظم السبل الدافعة إلى الثبات على تقوى الله عز وجل، وهذه علامة المتقي لرب العباد، لأن في الشهوات والشبهات فساد القلوب وذهاب التقوى وضعف الإيمان. يقول ابن تيمية رحمه الله: ((وصلاح بني آدم الإيمان والعمل الصالح، ولا يخرجهم من ذلك إلا شيئان:

أحدهما : الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالاً .

والثاني : إتباع الهوى والشهوة اللذين في النفس، فيكونون غواة مغضوباً عليهم، ولهذا قال: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[١] ...)) إلى أن قال رحمه الله ((فإذا قوى العلم والتذكر دفع الهوى، وإذا اندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم...))[٢]

والجهل بالله تعالى وبأحكامه وشرائعه من أكبر المفاسد التي تُذهب إيمان العبد وتقواه، فمن لم يعلم حقوق الله تعالى وأوامره ونواهيه وقع في الشرك ووقع في المحرمات والمنكرات وهو لا يدري، وما فعل الطاعات والقربات لجهله بها، ولوقع في الشبهات والشهوات لعدم علمه بمراقبة رب الأرض والسماوات. لذا كان الجهل من اعظم أسباب الوقوع في المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان. قال ابن تيمية رحمه الله: ((إن المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته، فإنَّه إذا كان عالماً بمضرتها وهو غني عنها امتنع أن يفعلها، والجهل أصله العدم، والحاجة أصلها العدم، فأصل وقوع السيئات منه عدم العلم والغنى))[٣] .

وقد بيّن ابن القيم رحمه الله مرض القلب وضعف الإيمان والتقوى بسبب الشهوات والشبهات، وحذر منها فقال رحمه الله: ((والفتنة نوعان: فتنة الشبهات – وهي أعظم الفتنتين – وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بأحدهما. ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد

---

(١) سورة النجم ، الآية : ١ ، ٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٢٤٢) .

(٣) المصدر السابق (١٤/٢٢ ، ٢٣) .

وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى ... وأما النوع الثاني من الفتنة: فتنة الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾[1] أي: أمتعتم بنصيبكم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[2] فهذا الخوض بالباطل هو الشبهات. فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الإستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون بإعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح))[3].

ثم يبين –رحمه الله– علاج كل داء من هذين الداءين فقال: ((...ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4]، فدل على ان الصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[5]، فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر يكف عن الشهوات))[6] .

فعُلم من ذلك أن إتقاء الشبهات والشهوات إنما يكون للمتقين وهم خواص العباد الذين أقبلوا على الله بكلياتهم فتركوا الحلال الذي يخشى من اتيانه القرب من الحرام، وما فعلوا ذلك إلا مخافة رب العباد وابتغاء رضوانه، واقتداءً بإمام المتقين ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٩
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٩
(٣) إغاثة اللهفان (ص ٥٣٤ ، ٥٣٥)
(٤) سورة السجدة ، الآية : ٢٤
(٥) سورة العصر ، الآية : ٣
(٦) إغاثة اللهفان (ص ٥٣٤ ، ٥٣٥)

الفصل الثاني
ثمرات التقوى

ويحتوي الفصل على مبحثين :-

المبحث الأول : ثمرات عاجلة في الدنيا .

المبحث الثاني : ثمرات آجلة في الآخرة .

المبحث الأول

ثمرات عاجلة في الدنيا

ويحتوي المبحث على المطالب التالية :-

المطلب الأول: التقوى تؤدي إلى الهداية والتوفيق .

المطلب الثاني: التقوى تؤدي إلى محبة الله عز وجل والملائكة والقبول في الأرض.

المطلب الثالث: التقوى تؤدي إلى المخرج من كل ضيق.

المطلب الرابع: التقوى سبب في البشرى والأمن .

المطلب الخامس: التقوى سبب في الأمان من كيد الأعداء والنصر عليهم

المطلب السادس: التقوى سبب في النجاة من عذاب الدنيا .

المطلب السابع: التقوى سبب في حسن الخاتمة .

بعد أن علمنا حقيقة التقوى وطرق تحصيلها والثبات عليها ، جدير بنا ان نعلم ما منَّ به سبحانه وتعالى على هذه الزمرة من الناس، وما اختصهم به عز وجل من عظيم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة. فبدءاً بالثمار التي يجنيها هؤلاء المتقون في الحياة الدنيا قبل الموت، وهي الثمار العاجلة، فنذكر بعضاً منها :

المطلب الأول: التقوى تؤدي إلى الهداية والتوفيق

قال تعالى: ﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((وخُصت الهداية للمتقين كما قال:﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴾[(٣)]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن لأنه هو في نفسه هدىً ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)]))[(٥)]. وقال القرطبي رحمه الله: ((قوله تعالى (للمتقين): خص الله تعالى المتقين بهدايته- وإن كان هدى للخلق أجمعين- تشريفاً لهم لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه))[(٦)] . ويقول السعدي رحمه الله: (((هدى للمتقين) لأنه في نفسه هدى لجميع الناس، فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم. واما المتقون الذين أتو بالسبب الأكبر لحصول الهداية وهو التقوى...فاهتدوا به وانتفعوا به غاية الإنتفاع ... ولأن الهداية نوعان: هداية البيان وهداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها ليست هداية حقيقية تامة...))[(٧)] فكان حقيق بمن حقق تقوى الله تعالى في نفسه أن ينال نور الله التام في الدنيا قبل الآخرة.

❁❁❁❁❁

(١) سورة البقرة ، الآية : ١ ، ٢
(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٤
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨٢
(٤) سورة يونس ، الآية : ٥٧
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٢/١)
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦١/١) .
(٧) تيسير الكريم الرحمن (٣١/١ ، ٣٢)

المطلب الثاني: التقوى تؤدي إلى محبة الله تعالى والملائكة والقبول في الأرض

يقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[1]، فبين سبحانه وتعالى أن يُنعم بمحبته الخاصة على أوليائه وهم المتقون الذين أذعنوا لربهم ففعلوا الطاعات واجتنبوا المعاصي ابتغاء رضوان ربهم ونيل محبته فأكرمهم الله تعالى بها. قال السعدي: (((من اوفي بعهده واتقى) : أي قام بحقوق الله وحقوق خلقه- فإن هذا هو المتقي، والله يحبه))[2] .

ومن أحبه الله تعالى أحبته جميع الخلائق في السموات والأرض، كما جاء ذلك في الحديث المتفق على صحته: ((إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: "إني أحب فلاناً فأحبه" قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: "إن الله يحب فلاناً فأحبوه" ، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض ... الحديث))[3] .

وقد بين الله سبحانه وتعالى هذا الثواب لهذه الزمرة في غير ما آية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[4]. قال السعدي رحمه الله: ((هذا من نعمه على عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يجعل لهم وُدّاً أي محبة ووداداً في قلوب أوليائه وأهل السماء والأرض))[5] . وهذا أمر متحقق في كل من أخلص في عمل الطاعات لوجه الله تعالى. يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية السابقة: ((يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية — يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه))[6] .

وقد عُلم بداهة أن من نال محبة الله فقد فاز فوزاً عظيماً، فيالسعادة المتقين المخلصين.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢٥٣/١)

(٣) البخاري : كتاب الأدب (٤٧٦/١٠) ، مسلم (٢٨٢/١٦) .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٩٦

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢٢١/٣)

(٦) تفسير القرآن العظيم (١٥٥/٣)

المطلب الثالث: التقوى تجلب المخرج من كل ضيق

وهذه الثمرة اختص الله عز وجل بها المتقين دون سواهم لصدق خشيتهم لله تعالى ؛ صدقوا مع الله في الرخاء، فصدق معهم في الرخاء والشدة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[(١)]، يقول ابن كثير رحمه الله: ((أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله..))[(٢)]. ويقول السعدي رحمه الله : ((فكل من أتقى الله ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإنَّ الله يثيبه في الدنيا والاخرة، ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجاً ومخرجاً من كل شدةٍ ومشقة ، وكما أن من أتقى الله جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله يقع في الآصار والأغلال، التي لا يقدرون على التخلص منها والخروج من تبعتها))[(٣)] .

وأيضاً يُدَلل على هذه الثمرة العظيمة قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[(٤)] ، فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: ((أي يُسَهِّل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً...))[(٥)].

فعلى من أراد أن تُيسَّر له الأمور وتذلل له الصعاب ويُخلَّص من الشدائد والفتن أن يتق الله عز وجل، فيمُنُّ عليه لتسهيل كل عسير، وتذليل كل صعب، والله على كل شيء قدير.

❁❁❁❁❁

(١) سورة الطلاق ، الآية : ٢
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠)
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥/٢٦٢)
(٤) سورة الطلاق ، الآية : ٤
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠٤) .

المطلب الرابع: التقوى سبب في نزول البركات من السماء وخروجها من الأرض

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[١] .

لما كان حال المكذبين للرسل هو الإعراض عن عبادة الله وحده، وعدم الإنقياد إلى أوامره وشرعه، كان مآلهم العذاب والضنك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد أخبر الله عز وجل أنهم إن آمنوا بوحدانيته وانقادوا لشريعته بفعل الطاعات وترك المحظورات، لأنعم الله عليهم بالخير والبركة. يقول ابن كثير رحمه الله: ((لو أن أهل القرى أمنوا واتقوا) : أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات، (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أي قطر السماء ونبات الأرض))[٢]. وأكد هذا المعنى الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية حيث يقول: ((لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل سيبتلون بالضراء موعظة وإنذاراً، وبالسرّاء إستدراجاً ومكراً – ذكر أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صَدّقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بترك جميع ما حرم الله، لفتح عليهم بركات من السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم في أخصب عيش وأغزر رزق من غير عناء ولا تعب ولا كدٍّ ولا نصب، ولكنهم لم يتقنوا ويتقوا (فأخذنهم بما كانوا يكسبون) بالعقوبات والبلايا ونزع البركات وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو أخذهم بجميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة))[٣] .

❊❊❊❊❊

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦١) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٣٧ – ١٣٨) .

المطلب الخامس: التقوى سبب في البشرى والأمن

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[(١)] ، ففي هذه الآية إمتنان من الله عز وجل على أهل التقوى بأنهم أولياؤه وخاصته، وأنهم آمنون لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يصيبهم الخوف ولا الحزن، وأن لهم البشرى برضا الله سبحانه وتعالى عنهم في الدنيا بالرؤيا الصالحة وعند الموت بالبشارة العظيمة من ملائكة الرحمة، وفي الآخرة بالجنات .

يقول الزمخشري –رحمه الله– في تفسيره للآية السابقة: ((والبشرى في الدنيا ما بشر به المؤمنون المتقين في غير مكان من كتابه. وعن النبيﷺ : " هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له"[(٢)] وعنهﷺ :" ذهب النبوة وبقيت المبشرات"[(٣)] ، وعن أبي ذر قال: تلك عاجل بشرى المؤمن، وعن عطاء: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة. قال تعالى: ﴿...تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ...﴾[(٤)] وأما البُشرى في الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مبشرين بالفوز والكرامة ، وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها، وغير ذلك من البشارات))[(٥)] .

❁❁❁❁❁

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٢ – ٦٤

(٢) البخاري : كتاب التعبير (٣٩١/١٢) .

(٣) المصدر السابق (٣٩١/١٢) .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٣٠

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٥٦/٢) .

المطلب السادس: التقوى سبب في الأمن من كيد الأعداء والنصر عليهم

قال تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1]. ففي هذه الآية الكريمة إخبار منه سبحانه وتعالى بمنِّه على أهل التقوى بالنصر والتأييد وأنه يكفيهم شر عدوهم. يقول ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: ((يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ومن توكل عليه كفاه...))[2] ، وقال السعدي رحمه الله: ((...لما بين تعالى شدة عداوتهم، وشرح ما هم عليه من الصفات الخبيثة، أمر عباده المؤمنين بالصبر ولزوم التقوى وأنهم إذا قاموا بذلك فلن يضرهم كيد أعدائهم شيئاً))[3] .

ولما كان أعداء الدين يكيدون للإسلام والمسلمين ليل نهار بخيلهم ورجلهم لإضعاف راية الإسلام، وعد الله عز وجل أهل الإيمان والتقوى بالنصر والعون فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾[4]، فبشرهم سبحانه وتعالى أنه كافيهم ولاية ونصراً، وأنه يكلؤهم ويحميهم، بل يجعلهم في معيته إن فعلوا التقوى في أنفسهم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[5] يقول ابن كثير: ((أمرٌ لهم بطاعة الله وتقواه، وإخباره بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة))[6] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٠

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٤٢٩) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٢٦٦) .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤٤ – ٤٥

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٩٤

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٤٥) .

ومعية الله تعالى للعبد تعني أن يكون اللهُ مع عبده ينصره على أعدائه ويدمر كيدهم ويعين عبده عليهم ويقويه. وهذه المعية اصطفى الله عز وجل بها أهل التقوى لما فعلوه من طاعة ربهم عز وجل، فأنعم بها عليهم. قال السعدي –رحمه الله– ((وأخبر تعالى أنه مع المتقين أي بالعون والنصر والتأييد والتوفيق، ومن كان الله معه حصل له الساعدة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله، فوكله إلى نفسه، فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد))[١] .

فهؤلاء المتقون قد نصروا الله في أنفسهم بفعل الطاعات والإنتهاء عن المحرمات والشهوات، فنصرهم الله عز وجل كما قال:﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢] .

❊❊❊❊❊

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٥٣/١) .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٤٠

المطلب السابع: التقوى سبب في النجاة من عذاب الدنيا

فإذا أراد الله سبحانه وتعالى إهلاك أمة ظالمة، أخرج منها المتقين ثم ألحق العذاب بغيرهم من المجرمين، فأكرمهم الله سبحانه وتعالى لصدقهم معه ولإنابتهم إليه، فنجاهم من كل عذاب في الدنيا والآخرة. قال تعالى بعد أن ذكر ظلم قوم صالح وتكذيبهم، ومعاقبة الله لهم بالعذاب: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1]، أي نبي الله صالح عليه السلام ومن معه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (((ونجينا الذين ءامنوا) أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء و لا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه السلام بإيمانهم وبتقواهم لله عز وجل))[2] . فوضح –رحمه الله– أن النجاة من هلاك الدنيا إنما كان بسبب الإيمان والتقوى.

وهذه المكرمة ليست للأنبياء والمرسلين فقط، بل وعدها الله سبحانه وتعالى كل من يؤمن به صدقاً ويتقيه حقاً. قال تعالى ممتناً على يونس عليه السلام: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] . قال السعدي –رحمه الله– : ((وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وضيق بأنه تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه كما فعل بيونس عليه السلام))[4].

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٨

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠٠/٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٨

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢٩٦/٣) .

المطلب الثامن: التقوى سبباً إلى حسن الخاتمة

وهذا من إنعام الله تعالى على أهل التقوى دون غيرهم. إذ يمن عليهم بالبشارة برضوانه وجناته في الحياة الدنيا قبل الآخرة، كما جاء ذلك في قوله ﷺ : ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء، فيأخذهم ... الحديث))[1] .

فهذه البشارة لأهل التقوى والإيمان تحصل لهم عند مفارقة الدنيا لتثبت قلوبهم كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2]، يقول الشيخ السعدي رحمه الله : ((يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين...في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإدارة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الـمَلَكَين ، للجواب الصحيح إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ بأن يقول المؤمن : الله ربي ، والإسلام ديني، ومحمدﷺ نبي ....))[3] .

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل (٢٨٧/٤) .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٨/٣) .

المبحث الثاني

ثمرات آجلة في الآخرة

المطلب الأول: التقوى سبب في تكفير الذنوب والسيئات .

المطلب الثاني: التقوى وعُلو المنزلة فوق الخلق يوم القيامة .

المطلب الثالث: التقوى والفوز بالجنة .

المطلب الرابع: التقوى والدخول إلى الجنات زمراً .

المطلب الخامس: التقوى و القدوم على الله تعالى ركباناً دون الآخرين .

بعد أن علمنا ما مَنَّ الله عز وجل به من الثواب الجزيل والأجر الكبير على المتقين في الدنيا، حرى بنا أن نعلم بعض ما اعد لهم من ثواب الآخرة من الجنات والحور العين وغير ذلك مما خُصُّوا به دون سواهم، جزاءً لهم بما كانوا يعملون.. فإلى أول هذه الثمرات. ثمرات التقوى في الآخرة ..

المطلب الأول: التقوى سبب في تكفير الذنوب و السيئات

وهذه الثمرة من اعظم الثمار وأولها، إذا هي أول ما كان يطلبه المتقون في الدنيا – أن يغفر الله لهم ذنوبهم ويكفر عنهم سيئاتهم. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[١]. فهذا هو حال الخائفين المخبتين التائبين لرب العالمين. ولصدقهم في الدعاء والرجاء فقد مَنَّ الله عليهم بتكفير هذه السيئات، ومغفرة جميع الذنوب. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[٢]. يقول ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: ((ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه))[٣] .

أيضاً يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ . فهذه الآية نصت على أن من اتقى الله حق تقاته فإنه سبحانه وتعالى يغفر له ذنوبه ويكفر عنه سيئاته، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير لهذه الآية : ((أي لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم، لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم المقروب ....))[٤].

❁❁❁❁❁

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥ ، ١٦

(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٥

(٣) جامع البيان ف تفسير القرآن للإمام الطبري (٢٨/٩٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٧)

المطلب الثاني: التقوى تورث علو المنزلة فوق الخلق يوم القيامة

وهذه لا غرابة فيه .. إذ أن هؤلاء قد اصطفاهم الله وجعلهم أهل الخيرية في الدنيا، فكذلك يجعل لهم منازل في الآخرة لا يلحق بها إلا من كان مثلهم. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1]، يقول ابن كثير رحمه الله: ((ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا إليها وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يُرضى الله عنهم، وسَخِرُوا من الذين آمنوا، الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبذلوه ابتغاء وجه الله، فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ الأوفر يوم معادهم، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم في أعلى عليين، وخُلِّد أولئك في الدركات في أسفل سافلين...)) [2].

ويقول الشيخ السعدي في تفسير هذ الآية أيضاً: ((فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور والبهجة والحبور، والكفار تحتهم في اسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة والشقاء السرمدي الذي لا منتهى له))[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٢

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٦٧/١)

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٦٧ ، ١٦٨) .

المطلب الثالث: التقوى تورث الفوز بالجنة

وهذا منصوص عليه في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، وفي العديد من الأحاديث النبوية، فإنه تعالى إنما أعد هذه الخيرات والجنان والحور الحسان وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر – أعد ذلك لأهل طاعته ومرضاته، وهم المتقين الذين فعلوا ما أمروا به وانتهوا عما نُهوا عنه. قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[2]. يقول ابن كثير رحمه الله: ((أي هذه الجنة التي وصفناها بهذه الصفات العظيمة، هي التي نورثها عبادنا المتقين، وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس...))[3]. ويقول السعدي رحمه الله : ((فتلك الجنة التي وصفناها بما ذكر، نورثها المتقين ونجعلها منزلهم الدائم الذي لا يظعنون عنه، ولا يبغون عنها حِولاً، كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4]...))[5] .

(١) سورة محمد ، الآية : ١٥

(٢) سورة مريم ، الآية : ٦٣

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٤٤/٣) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٣

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢١٢/٣) .

المطلب الرابع: التقوى تورث الدخول إلى الجنة زمراً

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1]، والزمرة هم الجماعة. فهؤلاء الموصوفين بهذه الصفة العظيمة يدخلون جنة ربهم عز وجل جماعات جماعات، فهم قد كانوا مجتمعين على تقوى الله عز وجل في الدنيا –وهي دار الإبتلاء– وهم أيضاً مجتمعين في الدار الآخرة وهي دار الثواب والإكرام لمن يتقي الله عز وجل.

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يُساقون على النَّجائب وفداً إلى الجنة زمراً أي جماعة بعد جماعة، المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم، الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً))[2] .

إن الإجتماعات كلها تتفرق وينفض شملها يوم القيامة، ويهرب أفرادها ويعادي بعضهم بعضاً إلا اجتماعات أهل التقوى، لأنها قامت على طاعة الله ومرضاته فتدوم إلى ما بعد يوم الحساب. قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[3] ، فتستمر إجتماعات أهل التقوى إلى ان يدخلوا جنات رب العالمين، فيدخلونها وهم فرحين مستبشرين بما أنعم الله عليهم .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٧٣

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٦٩) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٦٧

المطلب الخامس: التقوى تورث القدوم إلى الله ركباناً دون الآخرين

فخص سبحانه وتعالى أهل التقوى دون غيرهم بهذه المكرمة: وهي العزة، لتذللهم بين يديه، وإخلاصهم في أعمالهم، وتواضعهم وعدم تكبرهم على الخلق، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[(١)]. يقول ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى عن أوليائه المتقين...أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه، والوفد هم القادمون ركباناً، ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود، إلى دار كرامته ورضوانه)) [(٢)] .

والوافد منهم إنما يفد إلى ربه جل وعلا وهو مُكرّم مُبَجَّل، عظيم الرجاء في رحمة ربه، منبسط السريرة، عظيم الشوق إلى لقاء رب العباد. قال السعدي رحمه الله: ((يخبر تعالى عن تفاوت الفريقين.. المتقين والمجرمين وأن المتقين يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين مُبجلين مُعظمين، وفداً إليه، والوافد لابد أن يكون في قلبه من الرجاء وحسن الظن بالوافد إليه ما هو معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن راجين من رحمته والفوز بعطاياه في دار رضوانه وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين، واثقين بفضله)) [(٣)] .

❁❁❁❁❁

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٨٥

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/١٥٢) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٣/٢٢٠) .

– الخاتمة –

وبعد ..

فنحمد الله عز وجل أن بانت وظهرت الصورة الصادقة الصريحة لكلمة (التقوي) ، فعُرفت حقيقتها.. وبنت طرق الحصول عليها.. وعُلمت أسباب الثبات عليها .. فيالها من نعمة، وأعْظِمْ بها من نعمة، وأعْظِمْ بها من صفة يحبها الله ورسوله، بل لقد جعل الله تعالى ثوابها هو أعظم ثواب في هذا الوجود، ذلك الثواب الذي عَمِلَ له الأنبياء والمرسلون، وذاقوا من أجله أشد أنواع الأذى، وسار على دربهم من أجل الحصول عليه الصالحون من عباد الله .. ألا وهو الجنة .. : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[1] . فحِريٌّ بمن عرف ما هي الجنة، وماذا أعد الله عز وجل فيها من النعيم لبعاده المتقين –حَرِيٌّ به أن يسعى لتحقيق التقوى في نفسه، بالتحلي بأوصاف المتقين التي ذكرها الله ﷻ في كتابه، وبينها رسوله ﷺ في سنته، وحققها سلفنا الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أنفسهم، فاستحقوا عن جدارة أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس .

فالتقوى هي الدين الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، فحققه ودعا إليه، وسار على ذلك سلف هذه الأمة، فعلينا أن نعلم كيف حققها أولئك، وساروا بها في ظلمات الأرض، فأناروا بها سائر البلاد ، وهَدُوا بها العباد ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[2] ، أولئك الذين لا يشقى بهم جليسهم، ومن سار على الدرب وصل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على إمام المتقين وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٣

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩٠